بقلم: محمد اسدي موحد
(باحث وأستاذ جامعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإساءة الى القران

مع اطلالة العام الميلادي الجديد، و في الحادي و العشرين من شهر يناير على وجه التحديد، و في سياق حملة عدائية نكراء تستهدف الاسلام العزيز، تم احراق نسخة من القرآن الكريم امام مبنى السفارة التركية في العاصمة السويدية ستوكهولم. و كان الحادث موضع أذن السلطات السويدية و موافقة عناصرالشرطة تحت ذريعة (حرية التعبير). ويعلم الجميع ان حرية التعبير إنما هي بمنأى عن الكراهية والتحريض على الاديان، و ان هكذا أفعال و تصرفات تنفي الحرية و تصادرها. هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى ان الاساءة الى القرآن الكريم، و أمام السفارة التركية ـ البلد الاسلامي ـ يمكن النظر اليه بمثابة موقف سياسي.

ومن المعلوم أن راسموس بالودان، زعيم الحزب اليميني الدنماركي المتطرف، هو الذي أقدم على هذا العمل العدائي الشنيع. و في هذا الصدد حاول المتحدث باسم الشرطة السويدية ـ اولا استرلينغ ـ تبرير هذا الحادث المسيء بالقول: (الدستور السويدي يحظى بتأييد قوي، و يجب ان نعلم ان حرية التعبير أمر في غاية الاهمية).

خلفية الاساءة الى الاسلام في الغرب

ليست هي المرة الاولى التي يساء فيها الى الاسلام والمقدسات الاسلامية في البلدان الغربية، لاسيما السويد. و لعل اولى التحركات المسيئة وأكثرها شهرة، تلك التي تمثلت في اصدار كتاب (آيات شيطانية) عام ١٩٨٨. وكما هو معروف الكتاب من تأليف الكاتب البريطاني ـ الهندي سلمان رشدي. وأثار صدوره مشاعر المسلمين في العالم ، واحدث موجة عارمة من الادانة و الاستنكار توّجت بمبادرة الامام الخميني الى اصدار حكم بارتداد سلمان رشدي مؤلف الكتاب.

كذلك هناك الصحافي و السينمائي الهندي تيودور ون غوغ، الذي كرس نشاطاته للإساءة الى الاسلام و مهاجمة المسلمين. ففي عام ٢٠٠٤ ، و في فيلم حمل عنوان (تسليم)، لم يألوا جهداً في مهاجمة الاسلام و الاساءة الى معتقدات المسلمين. فكان بمثابة عملاً استفزازياً أثار مشاعر مليار و نصف مليار مسلم، ترجمت عملياً الى ادانة و استنكار على نطاق واسع.

و في عام ٢٠٠٥ نشر كورت وسترغارد الدنماركي، رسوماً مسيئة للنبي الاكرم في صحيفة (يولندز بستن). و تم نشر الرسوم الكاريكاتيرية في وسائل الاعلام على نطاق واسع بمساعدة الحكومة الدنماركية، مما أثار احتجاج المسلمين وغضبهم ومحاولة التصدي لذلك بمختلف الوسائل و السبل. و في العام نفسه أفادت تقارير صحافية بأن محققين اميركيين أساءوا الى القرآن الكريم اثناء التحقيق مع سجناء في معتقل غوانتانامو. و أن مفتشي اللجنة الدولية للصليب الاحمر، أكدوا هذه الاساءات و الانتهاك للمقدسات، التي قوبلت بتظاهرات حاشدة و احتجاجات واسعة.

و في عام ٢٠٠٦ عرض الفيلم القصير (فتنة)، الذي عمل على انتاجه السياسي الهولندي خيرت فيلدرز، النائب في البرلمان الهولندي و قائد حزب (من أجل الحرية). وفي هذا الفيلم حاول فيلدرز، الذي يعد من حماة الكيان الصهيوني، الاساءة الى القرآن الكريم مستلهماً الرسوم الكرتونية المسيئة للنبي محمد، التي تم نشرها في الجريدة الدنماركية (يولاندس بوستن) عام ٢٠٠٥، داعياً المسلمين للمبادرة بأنفسهم الى نبذ المصحف الشريف و التخلص منه.

و في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠١٠، كان القس الامريكي (تيري جونز) ينوي احراق ٣٠٠٠ نسخة من القرآن، إلا انه قوبل بردود فعل غاضبة واحتجاجات واسعة حالت دون الاقدام على ما اراد. غير ان تعداد من الامريكيين الحاقدين على الاسلام، قاموا في العام نفسه على احراق نسخ من القرآن الكريم. و في العام ٢٠١١ قام تيري جونز بحرق نسخة من المصحف في كنيسة فلوريدا، و بث المشهد عبر الانترنت. و يمكن اعتبار ذلك من جملة التحركات الاولى لإحراق القرآن بشكل علني في العصر الحاضر، التي حظيت بردود فعل غاضبة من قبل المسلمين ـ وحتى غير المسلمين ـ على الصعيد العالمي. كما ساهم تيري جونز عام ٢٠١٢ بانتاج فيلم يسيء للنبي محمد.

و في عام ٢٠١٥ نشرت المجلة الفرنسية (شارلي ابدو) رسوم كاريكاتورية تسيء للنبي محمد، نبي الاسلام. و قد أثار تصرف المجلة الفرنسية هذا ردود فعل غاضبة عمّت اوساط المسلمين في مختلف انحاء العالم، حتى ان مجموعة غاضبة قامت بمهاجمة مكتب المجلة في باريس. و ان السلطات الفرنسية قامت باعتقال المهاجمين و محاكمتهم. و في العام نفسه هاجم فريق من المعترضين الفرنسيين مصلى للمسلمين في منطقة (آجاكسيو)، و قاموا بتخريب المصلى واحراق نسخ القرآن الكريم. و من المفارقات ان ذلك كان في نفس العام الذي أقدم فيه مواطن دنماركي على احراق نسخة من القرآن الكريم و تصوير المشهد ونشره.

في عام ٢٠١٩، و في سياق تظاهرة عابرة، أقدم المجتمعون النرويجيون على إلقاء نسخة من المصحف الشريف الى سطل الزبالة. و في هذه الاثناء قام لارس ثورن، زعيم حركة "اوقفوا أسلمة النرويج"، بإحراق نسخة من القرآن. و مما يذكر أن نفس هذه المجموعة اليمينية المتطرفة ـ و في تظاهرة أخرى ـ قامت عام ٢٠٢٠ بتمزيق تعداد من صفحات القرآن الكريم.

أما راسموس بالو دان، والى ما قبل هذا العام، كان قد أقدم مراراً على احراق نسخ من القرآن الكريم. ففي عام ٢٠١٩ قام بذلك في الدنمارك. و في عام ٢٠٢٠ أقدم على فعلته الشنيعة في مدينة مالمو السويدية. و في عام ٢٠٢٢ ايضاً، قام بإحراق نسخة من القرآن امام احد المساجد

في السويد. و في نفس العام أقدم مرة أخرى على حرق القرآن في مدينة (لينكوبينغ) بالسويد، بدعم وحماية من قبل الشرطة.

و من المفارقات الملفتة ان الدول الاوروبية في الوقت الذي تحاول تبرير الاساءة الى الدين الاسلامي تحت ذريعة (حرية التعبير)، إلا أنه لا يحق لأحد توجيه أدنى اساءة الى المسؤولين السياسيين في هذه الدول. على سبيل المثال، اثناء نزول المسيرات الى الشوارع في المدن الفرنسية احتجاجاً على القوانيين الخاصة بكوفيد ـ ١٩، حاول احد الفرنسيين ـ في لافتة مصورة ـ تشبيه الرئيس الفرنسي ماكرون بـ (هتلر). فهذا الشخص لم يسب و يشتم، و لم يتخذ موقفاً عدائياً، و إنما حاول تشبيه شخص بآخر. غير ان السلطات الفرنسية فرضت غرامة مالية على هذا الشخص قدرها عشرة آلاف يورو.

تنامي تعداد معتنقي الاسلام في الغرب

لا يخفى ان التحركات المعادية للإسلام، والاساءات التي تستهدف القرآن الكريم، هي ذات ابعاد ايديولوجية فضلاً عن توجهاتها السياسية. و في هذا الصدد يذكر تقرير لمركز ابحاث بيو (PEW RESEARCH CENTER) الذي مقره في واشنطن، احصاءات تتحدث عن التوجهات السائدة في انحاء العالم، تفيد بأن تعداد المسلمين في اوروبا في تزايد مستمر عاماً بعد عام.

و حسبما افاده مركز الابحاث الاميركي، ان تعداد مسلمي اوروبا انخفض من ٦/٢٩ مليون شخص في عام ١٩٩٠ الى ١/٤٤ مليون شخص في عام ٢٠١٠. و ان (PEW) كان قد توقع في عام ٢٠١١، استناداً الى معدل زيادة نفوس المسلمين، ان تعداد مسلمي اوروبا سوف يصل الى ٥١ /٦ مليون شخص في عام ٢٠٢٠ ، و ان هذا التعداد سوف يصل الى ٥٨ /٢ مليون نسمه عام ٢٠٢٣.

و استناداً الى هذا الخط البياني، ان المسلمين في عام ١٩٩٠ كانوا يشكلون نحو ٤ بالمائة من نفوس اوروبا، و ان هذا التعداد سوف يصل الى ٨ بالمائة عام ٢٠٣٠، أي الضعف. و يلفت الموقع الاميركي الى ان تعداد المسلمين في اوروبا مقارنة بمناطق أخرى، مثل اميركا و روسيا، هو الأقل على الدوام. و بعبارة أخرى، ان نمو تعداد المسلمين في السنوات الأخيرة كان في منطقة من العالم هي الأقل في توجّهاتها الاسلامية .

ويذكر موقع (Find Easy) ان تعداد مسلمي اوروبا وصل الى نحو ٥/٥٠ مليون شخص في عام ٢٠٢٢، ما يوضح ان توقع (PEW) كان قريباً من الواقع. و حسب تقرير (بيو) ان نسبة ١/٨ بالمائة من نفوس السويد في عام ٢٠١٦ هم من المسلمين. و مع الاخذ بالاعتبار المعدل العام في اوروبا، فهو تعداد ملفت و يحتل المرتبة الاولى.

و يتوقع (بيو) ان تصل نسبة المسلمين في السويد الى ٦/٣٠ بالمائة من التعداد العام للسكان في عام ٢٠٥٠، و ذلك باحتساب المسلمين المهاجرين. و الى ٢/١١ بالمائة دون احتساب المسلمين المهاجرين. و في كلتا الحالتين تحتل اوروبا المرتبة الاولى و الثانية. كذلك يرى مركز ابحاث (بيو)، ان نمو التعداد السكاني للمسلمين في السويد خلال الفترة ٢٠١٠ ـ ٢٠٣٠ يصل الى أكثر من الضعف.

و في ضوء هذه الارقام و التوقعات القريبة من الواقع، يتضح ان نمو تعداد المسلمين في اوروبا يشهد وتيرة متسارعة، و ان السويد و فرنسا تحتلان المرتبة الاولى بين الدول الاوروبية في هذا الصدد. و بناء على ذلك يمكن القول، ان تزايد التحركات المعادية للإسلام بدعم و مساندة من الحكومات الاوروبية، و الاساءات التي تستهدف المقدسات الاسلامية، إنما هي محاولات تهدف التصدي للنمو المتسارع لتعداد المسلمين في المجتمعات الغربية.

و لا يخفى ان التجارب برهنت على ان هذه المحاولات ليس لم تتمكن من الحد من اعتناق الاسلام فحسب، بل ان الشعوب اخذت تميل الى الاسلام أكثر من قبل. و ما يجدر ذكره ان مجلة فيغارو الفرنسية، وعقب تحركات السلطات الفرنسية المسيئة للإسلام، ذكرت في تقرير لها حمل عنوان (تزايد مبيعات القرآن في فرنسا) خلال العقد الاخير: (ان نسبة مبيعات نسخ القرآن المترجم الى اللغة الفرنسية، شهدت ارتفاعاً ملفتاً في موقع أمازون).